الفصل السادس

الهيكل

ما هو الهيكل

كثر الحديث عن الهيكل: هيكل داود - هيكل سليمان - هيكل هيرود - الهيكل الثالث - بناء الهيكل - نهب الهيكل. مما يتطلب توضيحًا للمسألة.

«الهيكل» كلمة كنعانية يقابلها فى العبرية «بيت همقداش»، أى «بيت المقدس» أو «هيخال»، وهى كلمة تعنى «البيت الكبير» فى كثير من اللغات السامية (الأكادية والكنعانية وغيرهما). والبيت الكبير أو العظيم هو الطريقة التى كان يُشار بها إلى مسكن الإله، فكلمة «فرعون» تعنى «البيت الكبير» وهى تشبه إلى حد ما عبارة «الباب العالى»؟

ومن أهم أسماء الهيكل «بيت يهوه»، لأنه أساسًا مسكن للإله وليس مكانًا للعبادة (على عكس الكعبة مثلاً). ومن هنا، ورغم أنه كان مصرَّحًا للكهنة بل ولعبيد الهيكل بالدخول فيه، فلم يكن يُسمَح لهم بالتحرك فيه بحرية كاملة. ولم يكن يُسمَح لأحد على الإطلاق بدخول قدس الأقداس إلا الكاهن الأعظم فى يوم الغفران.

ومن المعروف أن العقيدة اليهودية لم تتبلور إلا فى مرحلة متأخرة (ربما فى القرن الخامس الميلادى). ولذا فنحن نرى أن الهيكل ليس جزءًا من العقيدة اليهودية، وإنما هو جزء مما أسميه «العبادة القربانية المركزية»، وهى النمط الدينى الذى ساد فى فلسطين ابتداءً من حكم سليمان التوراتى (وهو حسب العقيدة اليهودية ليس نبيًا وإنما ملكًا) واستمرت بعض الوقت إلى أن هدم الرومان الهيكل فى عام ٧٠ ميلادية، لم يحل محله مبنى مركزى مماثل.

ويشغل الهيكل مكانة خاصة فى الوجدان اليهودى، فكان التصور أنه يقع فى مركز العالم فقد بُنىَ فى وسط القدس التى تقع فى وسط الدنيا (فقدس الأقداس الذى يقع فى وسط الهيكل هو بمثابة سُرَّة العالم، ويُوجَد أمامه حجر الأساس: النقطة التى عندها خلق الإله العالم). والهيكل كنز الإله مثل جماعة يسرائيل،هوهو عنده أثمن من السماوات بل ومن الأرض التى خلقها بيد واحدة بينما خلق الهيكل بيديه كلتيهما. بل إن الإله قرَّر بناء الهيكل قبل خلق الكون نفسه، فكأن الهيكل مثل اللوجوس (أو الكلمة المقدَّسة)، أو ابن الإله فى اللاهوت المسيحى.

ويبدو أن الحاخامات اليهود قد أخضعوا الهيكل، منذ البداية، لكثير من التأملات الكونية. ويذهب أحد العلماء إلى أن هذه التأملات هى وحدها التى تفسر معمار الهيكل وتصميمه. وقد أورد يوسيفوس بعض هذه التأملات، فذكر أن الفناء الذى يحيط بالهيكل بمنزلة البحر، والمقدَّس هو الأرض، وقدس الأقداس هو السماء، والرقم (١٢)، وهو تعداد كثير من الأشياء الشعائرية، هو شهور السنة. بل إن رداء الكاهن الأعظم كان له أيضًا المغزى الكونى نفسه.

ويشير التراث اليهودى إلى ثلاثة هياكل: أما الهيكل الأول فهو هيكل سليمان، وحسب التصور اليهودى، قام سليمان ببناء الهيكل فوق جبل موريا، وهو جبل بيت المقدس أو هضبة الحرم التى يُوجَد فوقها المسجد الأقصى وقبة الصخرة. ويُشار إلى هذا الجبل فى الكتابات الإنجليزية باسم «جبل الهيكل» أو «تمبل ماونت Mount Temple»، وهو بالعبرية «هر هبايت»، أى «جبل البيت» (بيت الإله).

ومن الصعب الوصول إلى وصف دقيق لهيكل سليمان، فالمصدران الأساسيان لمثل هذا الوصف هما كتاب الملوك الأول (٦/٨)، والأخبار الثانى

(٤/٢) فى العهد القديم، وهما مختلفان فى عديد من التفاصيل المهمة. كما أن المصادر الأخرى تعطى تفاصيل تناقض أحيانًا تلك التى وردت فى هذين المصدرين الأساسيين.

وهيكل سليمان هو جزء من مُركَّب معمارى ملكى يضم قصر الملك ومبانى أخرى، مثل: بناء للصناع، وقاعة للاجتماعات، وبهو للعرش، وبهو للمحكمة العليا، وبناء كبير للحريم، وبيت لابنة فرعون زوجة سليمان. وكان هذا المركب المعمارى ملحقًا به المذبح الصغير الذى يضم تابوت العهد. وكان يحيط بكل هذه المبانى فناء واسع. وكان مثل هذه المركبات المعمارية أمرًا شائعًا فى الشرق الأدنى القديم. وقد أقيم هيكل سليمان مكان المذبح الصغير، يحيط به فناء مقصور عليه، أعلى من الفناء الخارجى، ومن ثم فهو يفصله عن المركب المعمارى الأكبر.

ولا يختلف هيكل سليمان فى معماره عن الهياكل الكنعانية التى يبدو أنها تأثرت بالطراز الفرعونى الذى أخذه الفينيقيون من مصر وأضافوا إليه ما أخذوه من الآشوريين والبابليين من ضروب التزيين. ولذلك، فإن الطراز الذى بُنى عليه الهيكل يُسمَّى «الطراز الفرعونى الآشورى». وقد هدم نبوختنصر البابلى هيكل سليمان عام ٥٨٦ ق. م، وحمل كل أوانيه المقدَّسة إلى بابل.

بعد هدم هيكل سليمان قام زرو بابل (أحد كبار الكهنة الذين سمح لهم الإمبراطور الفارسى قورش بالعودة إلى فلسطين) بإعادة بناء الهيكل فى الفترة ٥٢٠ - ٥١٥ ق. م، أى فى أربعة أعوام (فى حين استغرق بناء هيكل سليمان سبعة أعوام)، ويُسمَّى هذا الهيكل (هيكل زرو بابل). ويذكر العهد القديم أن هيكل زرو بابل بُنى بأمر من إله يسرائيل، وبأمر أباطرة الفرس: قورش ودارا الأول وأرتحشتا (عزرا ٦/١٤). ولذا، فقد كانت تُقدَّم

فيه قرابين يومية لصالح حامى صهيون الوثنى. وكان مرسومًا على مدخله خريطة لمدينة سوسة عاصمة الإمبراطورية الفارسية. ولم يكن هذا الهيكل (هيكل زروبابل) فى عظمة هيكل سليمان. ولا تُوجَد إشارات كثيرة إلى شكله المعمارى ولا إلى تقسيمه، ولكن معظم الباحثين يميلون إلى القول بأنه لم يهدمه وإنما نهبه وحرقه. ولكن لم تحترق سوى الأجزاء الخشبية كالسقف والبوابات الخشبية وكسوة الحوائط الخشبية. أما الهيكل المعمارى، فقد بقى كما هو، فاستخدمه العائدون من بابل دون تغيير. أما فيما يتصل بمحتويات الهيكل، فنحن نعرف أن قدس الأقداس كان فارغًا تمامًا لأن سفينة العهد قد اختفت، ولم تكن توجد سوى صخرة عالية يضع الكاهن الأعظم عليها المبخرة. وكان هيكل زرو بابل يضم أيضًا أوانى هيكل سليمان الأخرى كالشمعدانات الذهبية ومائدة قربان الوجه ومذبح البخور.

أما الهيكل الثانى فهو «هيكل هيرود» الذى بناه الملك هيرود (٢٧ ق.م - ٤ م) الذى عيَّنه الرومان ملكًا، أى حاكمًا رومانيًا يحمل لقب «ملك» ويشار إلى هذا الهيكل بأنه «الهيكل الثانى». وحينما اعتلى هيرود العرش، وجد هيكل زروبابل متواضعًا للغاية، فقرر بناء هيكل آخر لإرضاء اليهود، ولكنه قرر أن يبنى فى الوقت نفسه معبدًا لآلهة مدينة روما حتى ينال رضا الإمبراطور أوغسطس ويثبت ولاءه له. ويبدو أن هذا المعبد الرومانى الوثنى كان لا يختلف كثيرًا فى بنيته المعمارية عن الهيكل اليهودى.

ويحتوى البهو المقدَّس فى هيكل هيرود على شمعدانات المينوراه، ومائدة خبز الوجه ومذبح البخور. وكان سقفه من خشب الأرز المطعم بالذهب. وكان مزوَّدًا بنوافذ على عكس قدس الأقداس الذى كان مظلمًا وخاويًا. ولم يكن الحائط الغربى أو حائط المبكى جزءًا من الهيكل نفسه وإنما كان جزءًا

من سوره الخارجى الذى أشرنا إليه. والوصف السابق لهيكل هيرود هو الذى ورد عند يوسيفوس. وهو مختلف عن الأوصاف التى وردت فى كتب المدراش. وقد هدم تيتوس الهيكل الثانى عام ٧٠ ميلادية.

قدس الأقداس وحجر الأساس

كان الهيكل مقسمًا إلى ثلاثة أقسام: المدخل والهيكل أو البهو المقدس ثم قدس الأقداس، وهو أهم الأماكن. ومصطلح «قدس الأقداس» تقابله فى العبرية كلمة «دبير»، ويبدو أنها من أصل عبرى بمعنى «تكلُّم»، أى أن الإله تكلم وأعطى المشورة والوحى. وهو أقدس الأماكن فى هيكل القدس. وقدس الأقداس عبارة عن مكعب حجرى مصمت «بدون نوافذ» أقيم على مستوى أعلى من الجزء المسمَّى «الهيكل» فى هيكل سليمان، يميل نحو التجريد كما هو الحال فى الحضارات السامية.

وكان يفصل قدس الأقداس عن بقية الهيكل ستارة وسلسلة من الذهب أو باب. ولم يكن يدخله سوى كبير الكهنة فى يوم الغفران ليتفوَّه باسم الإله (يهوه) الذى لا يستطيع أحد أن يتفوه به فى أى مكان أو زمان (ولعل التأثير المصرى واضح فى هذه العادة).

ويُعتبَر قدس الأقداس، فى التأملات الكونية التى تخص الهيكل، السماء السابعة. وكان يوجد فى قدس الأقداس ما يسمَّى حجر الأساس (بالعبرية: إيفن هيسود)، وهى نفس العبارة التى يستخدمها المهووسون من الصهاينة الذين كانوا يحاولون وضع حجر أساس الهيكل. وهذه العبارة، شأنها شأن عبارات أخرى كثيرة فى التراث الدينى اليهودى، حمالة أوجه، فكلمة «تسور» العبرية تعنى صخرة، ولكنها تعنى أيضًا «الإله». وعند إعلان استقلال إسرائيل أصر المتدينون أن ترد عبارة «تحت رعاية الإله» فرفض العلمانيون، فاستُخدمت كلمة «تسور» وليفهمها كل من يشاء بطريقته.

وهذا تقليد تلمودى. فثمة نزعة متعالية توجد فى معظم صفحات التلمود الملىء بالأحكام الموجهة ضد غير اليهود (خصوصًا سفر عفوده زاره أو عبادة الأوثان)، فلن يدخل الجنة سوى اليهود. وقد خلق الإله الأغيار على هيئة الإنسان لكى يكونوا لائقين بخدمة اليهود الذين خُلقت الدنيا من أجلهم، إذ ليس من الملائم أن يقوم حيوان على خدمة الأمير، وهو على صورته الحيوانية. ولا يُعتدُّ بشهادة غير اليهودى أمام المحاكم إلا فى حالات قليلة. وإذا وقع أذى بشخص، فمن المهم للغاية تحديد هل هذا الشخص يهودى أم لا، بل إن هذا التمييز يسرى أيضًا فى المعاملات التجارية. وفى مسائل الطهارة، يعتبر الأغيار أنجاسًا فى حياتهم. ولكن مقابرهم، باعتبار أنها غير مقدَّسة، لا تنجس الكهنة. والعكس صحيح بالنسبة إلى اليهود، فهم طاهرون فى حياتهم وقبورهم مصدر نجاسة أساسى للكهنة اليهود.

ويتناسى التلمود الفرق بين الأخيار والأشرار من الأغيار، رغم إنه تمييز أساسى فى العقيدة اليهودية نفسها. بل إن التلمود يطلب أحيانًا إلى اليهود أن يستخدموا مقياسين أخلاقيين: أحدهما للتعامل مع اليهود، والآخر للتعامل مع غير اليهود (انظر: بابا متسيعا ٩٥أ، وبابا قما ١١٣ أ). وقد جاء فى التلمود أنه لا يصح أن يباع لليهودى الشىء الذى يحتمل فساده إن تُرك، ولكنه من الممكن أن يُباع لغير اليهودى، كما يُحرَّم على الطبيب اليهودى أن يعالج مريضًا غير يهودى (إلا لدرء أذى الأغيار).

وكانت الرقابة الحكومية تفرض على اليهود أن يحذفوا بعض الفقرات التى تُظهر عداءً متطرفًا للأغيار، فبذلت محاولات لعدم استخدام كلمة «أغيار» على أن تستخدم بدلاً منها كلمات محددة الدلالة مثل «كوشى» (بمعنى «زنجى») و «كنعانى» أو «بابلى» بدلاً من «أغيار»

أو «مسيحيين»، وكان أعضاء الجماعات اليهودية يعرفون أن المقصود ليس الكنعانيين أو البابليين وإنما المسيحيون أو الأغيار.

وقد استخدم هرتزل هذه الطريقة المراوغة فى المؤتمر الصهيونى الأول، فقد قامت معركة بين بعض الصهاينة الذين كانوا يطالبون بأن الهدف الصهيونى هو تأسيس دولة يهودية فى فلسطين. قال المعتدلون إن هذا سيكشف الهدف الحقيقى للصهيونية مما قد يؤلب سكان فلسطين والعرب والدولة العثمانية ضد المشروع الصهيونى، ولذا طالبوا بالاكتفاء بعبارة «وطن قومى». وحينما احتدم الخلاف قال هرتزل: اكتبوا «وطن قومى» وسيفهم الجميع أنه «دولة يهودية». وقد تم ذلك بالفعل.

وعبارة «حجر الأساس» عبارة مراوغة قد يفهم منها المرء أنه «حجر أساس» عادى مثل أى حجر أساس آخر. ولكن إن تعمقنا قليلاً فى التراث اليهودى لوجدنا أن الأجاداه (الجزء القصصى فى التلمود) تذهب إلى أن فلسطين توجد فى مركز الدنيا والقدس فى وسط فلسطين، والهيكل فى وسط القدس، ويقع قدس الأقداس فى وسط الهيكل، أى أن قدس الأقداس يقع فى وسط الدنيا تمامًا، ويوجد أمامه حجر الأساس «إيفن هيسود» (ويزعم بعض الحاخامات أن حجر الأساس هو الصخرة الشريفة).

ولكن كلمة «هيسود» الأساس لها إيحاءات دينية كثيرة. ففى التراث الصوفي الحلولى اليهودى يأخذ الإله شكل عشر تجليات نورانية هى بمثابة مراحل الفيض المختلفة والتجلى التاسع هو يسود عولام أى أساس العالم، ويشار إليه أحيانًا بلفظ «يسود» وحسب أى الأساس، وهو الركيزة الأساسية لكل التجليات النورانية الأخرى، وهو أساس كل القوى المنشيطة فى الإله. وإحدى معانى كلمة يسود هى شعب إسرائيل. فحجر الأساس هنا ليس مجرد حجر أساس وإنما هو رمز عميق تستخدمه الصهيونية

الدينية. فاليهود هم حجر الأساس، وهم جزء عضوى من التجلى الإلهى، فهم آلهة أو شبه آلهة لهم حقوق مطلقة، فهم مركز العالم وأساسها. وهى صياغة لا يعارضها العلمانيون.

ومصطلح «حجر الأساس» لا يختلف كثيرًا عن مصطلح شائع مثل «الكنيست» فالكنيست هو البرلمان الإسرائيلى، ولكنه فى التراث الدينى هو التجلى العاشر والأخير للإله، وهو أيضًا جماعة إسرائيل، وهو الشخيناه أى التجلى الأنثوى للإله، أى إن اليهود جزء لا يتجزأ من الإله، حقوقهم مطلقة، وأفعالهم مقدسة، تعلو على التأنيث.

وقبل أن نختتم هذا المقال يمكننا أن نعرِّف مراسم العبادة فى الهيكل. كانت مراسم العبادة فى الهيكل تختلف من فترة إلى أخرى، ولكن ملامحها الأساسية ظلت ثابتة. ففى كل صباح، كان أحد الكهنة ينظف ضريح القرابين من الرماد ثم يُذكى النيران. وبعد ذلك، كانت تُقدَّم قرابين اليوم (الجديدة). وكان الكاهن الأعظم (أو من ينوب عنه) يدخل البهو المقدَّس، وينظف الشمعدانات، ويحرق البخور على مذبح البخور، ويُقدِّم قربان خبز الوجه. وعند الغروب، كانت معظم الشعائر تُعاد من جديد. كان هذا هو النمط السائد للعبادة والقرابين فى الأعياد وفى يوم السبت، وكان الكاهن الأعظم يدخل قدس الأقداس فى يوم الغفران، وكان التفوه باسم يهوه يمثل ذروة هذه العبادة، حيث كانت هذه اللحظة تشكل نقطة التماس بين الإله والشعب والأرض، فهى النقطة التى يتجسد فيها الحلول الكامل.

وكان تركيز العبادة القربانية تركيزًا لموارد الدولة أيضًا، وقد كانت القرابين من أهم هذه الموارد إلى جانب الضرائب وجزية الرءوس التى فرضها سليمان على جميع رعاياه بحيث كان على كل ذكر يهودى أن يدفع نصف شيقل كل عام (وهو الشيقل المقدَّس). لهذا، لم يسمح بتقديم

أية قرابين خارج الهيكل بعد تأسيسه. وكان الهيكل، شأنه شأن كثير من الهياكل فى الشرق الأدنى القديم، مصرفاً يضع فيه الأثرياء نقودهم ويرسلون إليه النذور والقرابين، كما كانت تُحفظ فيه رموز الدولة وطنافسها.

وقد استمر هذا الوضع مع هيكل هيرود الذى أشار إليه ول ديورانت بأنه «المصرف القومى»، وأشار إليه يهودا مينوهين بأنه «الهيكل/ السوق»، حيث كان يُوجَد الباعة وتجار الماشية والصيارفة،[٥] وكان هذا هو سرّ غضب السيد المسيح عند زيارته للهيكل.

ولما كان الهيكل هو الخزانة القومية أو المصرف القومى للدولة العبرانية المتحدة (ثم المملكة الجنوبية)، فإننا نجد أن القوات الغازية كانت تحاول نهبه أثناء الحروب كجزء من الحرب الاقتصادية وكجزء من محاولة ضرب الشرعية السياسية.

وكان الكهنة اللاويون يقومون على خدمة الهيكل، يترأسهم الكاهن الأعظم، وهو ما جعل فئة الكهنة من أكثر الفئات نفوذًا. وكانت فرقة الصدوقيين تعبِّر عن مصالح هذه الفئة وتدافع عن عبادة الهيكل القربانية. أما فرقة الفريسيين، فكانت تمثل المعارضة. ولذا، فقد كانت هذه الفرقة تؤيد إنشاء المعابد اليهودية المستقلة لأنها تحقق انفصال اليهودية عن الهيكل والكهنة.

□□□

هدم الهيكل وإعادة بنائه

من المصطلحات المتواترة فى المعجم اليهودى الصهيونى مصطلح «هدم الهيكل» الذى يشير عادةً إلى عملية هدم الهيكل على يد تيتوس عام ٧٠ ميلادية. وقد هُدم الهيكل، حسب الكتابات الفقهية اليهودية، فى

التاسع من آب، ويشكل هدم الهيكل صورة أساسية فى الوجدان الدينى اليهودى، فهو يُذكَر عند الميلاد والموت، وعند الزواج، يُحطَّم أمام العروسين كوب فارغ لتذكيرهم بهدم الهيكل (وقد يُنثَر بعض الرماد على جبهة العريس). وفى الماضى، حينما كان اليهودى يطلى منزله، كان الحاخامات يوصونه بأن يترك مربعًا صغيرًا دون طلاء حتى يتذكر واقعة هدم الهيكل. وفى كل عام، يُحتفَل بذكرى هدم الهيكل بالصيام فى التاسع من آب، وعند كل وجبة، ومع كل صلاة فى الصباح، يتذكر اليهود الهيكل، ويصلون من أجل أن تتاح لهم فرصة العودة إلى الأرض المقدَّسة والاشتراك فى بناء الهيكل. كما تُتلَى صلاة خاصة فى منتصف الليل حتى يُعجِّل الإله بإعادة بناء الهيكل. ويذهب الشرع اليهودى إلى أن اليهودى يتعيَّن عليه أن يمزِّق ثيابه حينما يرى الهيكل لأول مرة وبعد مرور ثلاثين يومًا من آخر مرة رآه فيها.

ويرى بعض حاخامات اليهود أن هدم الهيكل كان عقابًا لهم على ما اقترفوه من ذنوب. وهذا الرأى يأخذ به المسيحيون، حيث يرون أن ذنب اليهود الأكبر هو إنكارهم أن المسيح عيسى بن مريم هو الماشيَّخ. وفى الكتابات العبرية، يُشار إلى تخريب الهيكل بكلمة «حوربان» التى تُستخدَم للإشارة إلى أى دمار يلحق باليهود، ومن ذلك الإبادة النازية ليهود أوربا.

وتذهب الكتابات الصهيونية، والمتأثرة بها، إلى أن هدم الهيكل على يد الرومان هو الذى تَسبَّب فى تشتت اليهود فى المنفى على هيئة أقليات، مع أن انتشار اليهود فى بقاع الأرض كافة كان قد بدأ قبل ذلك بزمن طويل وبدون قسر. والواقع أن مجموع اليهود خارج فلسطين كان يفوق بكثير عددهم داخلها قبل هدم الهيكل.

وبذلك يعود ظهور الصهيونية إلى اللحظة التى هدم فيها تيتوس الهيكل وانتهى الوجود «القومى» اليهودى فى فلسطين. وهم، بهذا، يعلمنون

الصورة الأساسية فى الوجدان اليهودى، ويتبنونها كصورة أساسية فى فكرهم السياسى، فيعمقون تَزاوُج الدينى والدنيوى، وتصبح العودة (أى الاستيطان بالقوة فى فلسطين) فعلاً دينيًّا. ويقوم الصهاينة بالتأريخ لوقائع تاريخ العبرانيين، وتواريخ أعضاء الجماعات اليهودية فى فلسطين، بمصطلحات مثل «الهيكل الأول» و «الهيكل الثانى». ويشير بن جوريون وكثير من العلماء الإسرائيليين إلى دولة إسرائيل باعتبارها «الهيكل الثالث».

ويذهب الفقه اليهودى إلى أن الهيكل لابد أن يُعاد بناؤه وتُقام شعائر العبادة القربانية مرة أخرى حينما يعود اليهود إلى صهيون (أى فلسطين) بقيادة الماشيَح فى آخر الأيام، أى أن إعادة بناء الهيكل مرتبط بالرؤى الأخروية لا بالتاريخ الإنسانى. ولهذا، فقد تم تدوين هذه الشعائر فى التلمود مع وصف دقيق للهيكل. ويتلو اليهود فى صلواتهم أدعية من أجل إعادة بناء الهيكل. ولكن الآراء تتضارب، مع هذا، حول مسألة موعد وكيفية بناء الهيكل فى المستقبل. والرأى الفقهى الغالب هو أن اليهود يتعيَّن عليهم أن ينتظروا إلى أن يحل العصر المشيحانى بمشيئة الإله، وحينئذ يمكنهم أن يشرعوا فى بنائه، ومن ثم يجب ألا يتعجل اليهود الأمور ويقوموا بإعادة بنائه، فمثل هذا الفعل من قبيل الهرطقة، والتعجيل بالنهاية (دحيكات هاكتس). ويذهب موسى بن ميمون إلى أن الهيكل لن يُبنَى بأيد بشرية، كما يذهب راشى إلى أن الهيكل الثالث سينزل كاملاً من السماء. ويرى فقهاء اليهود أن جميع اليهود مدنسون الآن، بسبب ملامستهم الموتى أو المقابر، ولابد أن يتم تطهيرهم برماد البقرة الصغيرة الحمراء. ولما كان اليهود (جميعًا) غير طاهرين، بل ويستحيل تطهيرهم (بسبب عدم وجود الرماد المطلوب لهذه العملية)، وحيث إن أرض الهيكل (جبل موريا أو هضبة الحرم) لا تزال طاهرة، فإن دخول أى يهودى إليها

يُعدُّ خطيئة. ويضاف إلى هذا أن جميع اليهود، حتى الطاهر منهم، يَحرُم عليه دخول قدس الأقداس. ولما كان مكانه غير معروف لأحد على وجه الدقة، فإن من الفقه اليهودى كذلك أن تقديم القرابين أمر محرم لأن استعادة العبادة القربانية لابد أن يتم بعد عودة الماشيَّح التى ستتم بمشيئة الإله.

ولكنَّ هناك رأيًا فقهيًا يذهب إلى نقيض ذلك، حيث يرى أن اليهود يتعيَّن عليهم إقامة بناءٍ مؤقت قبل العصر المشيحانى، وأنه يحل لليهود دخول منطقة جبل موريا، لكن هذا هو رأى الأقلية ولم يصبح جزءًا من أحكام الشرع اليهودى. ولكن هذا الرأى ظل مدوَّنًا مطروحاً بسبب طبيعة اليهودية كتركيب جيولوجى.

وقد استفاد الصهاينة من هذا التناقض داخل التركيبة الجيولوجية، فوصفوا الرؤية الحاخامية الأرثوذكسية بالسلبية، وقرروا أخذ زمام الأمور فى أيديهم. وقد أعلن الحاخام شلومو جورين أنه حدد مكان قدس الأقداس، وبالتالى يستطيع اليهود زيارة جبل موريا.

ويمكننا الآن أن نعرض لرأى الفرق اليهودية المختلفة فى العصر الحديث فى مسألة إعادة بناء الهيكل، يمكننا منذ البداية أن نقسمهم إلى صهاينة وغير صهاينة. أما غير الصهاينة، فيعارضون العودة الفعلية ومن ثم إعادة بناء الهيكل. وقد حذف الإصلاحيون الأدعية الخاصة بإعادة بناء الهيكل، ويستعملون كلمة «تمبل Temple» الإنجليزية، أى «المعبد»، منذ عام ١٨١٨ للإشارة إلى الهياكل اليهودية. وهم، فى الواقع، يقصدون أن المعبد، أينما وُجد، حلَّ محل الهيكل، وأن الهيكل لن يتم استرجاعه أبدًا. أما الأرثوذكس، فيفضلون استخدام الكلمة اليومانية «سيناجوج» للإشارة إلى المعبد اليهودى، على أن تظل كلمة «هيكل» محدَّدة الدلالة،

لا تشير إلا إلى هيكل القدس، وقد احتفظ الأرثوذكس بالأدعية الخاصة بالعودة، وتبعهم المحافظون. وتظل العودة، بالنسبة إلى الأرثوذكس، مسألة مرتبطة بعودة الماشيَّح. أما بالنسبة إلى المحافظين، فهى تشبه المجاز والتطلع الطوباوى المثالى.

أما الصهاينة، فينقسمون فى موقفهم من قضية إعادة بناء الهيكل إلى قسمين: صهاينة لادينيون وصهاينة دينيون. وفى الواقع، فإن الفريق الأول لا يكترث بالعبادة القربانية، ولا بإعادة بناء الهيكل. ولذا، فهم ينظرون إلى القضية من منظور عملى، ويرون أن محاولة الصهاينة المُتدينين إعادة بناء الهيكل هى مسألة هَوَس دينى يهدد المُستوطَن الصهيونى بالخطر دون عائد مادى ملموس. ومن ثم، نجد أن مسألة إعادة بناء الهيكل لا تتمتع بشعبية كبيرة داخل إسرائيل التى تتمتع بـ - أو تعانى من - واحد من أعلى مستويات العلمنة فى العالم. وقد أشار تيدى كوليك (عمدة القدس) إلى المهووسين الذين قاموا بوضع حجر أساس بناء الهيكل، وبيَّن أنهم يسيرون فى خط شبتاى تسفى؛ ذلك الماشيَّح الدجال الذى ألهب حماس معظم اليهود فى القرن السابع عشر، ووعدهم بالعودة إلى فلسطين، وعيَّن بعض أتباعه حكامًا للأرض، ثم انتهت الحركة بالفشل، الأمر الذى رجَّ اليهودية رجًا من أساسها وألقى بها فى أزمة لم تفق منها قط.

ويرى الصهاينة المتدينون (المتطرفون) المسألة من منظور مختلف، فمسألة إعادة بناء الهيكل مسألة ذات أهمية مركزية بالنسبة إليهم، ولذا فإنهم يركزون جُلَّ اهتمامهم على هذه العملية، والقضية بالنسبة إليهم مسألة عقائدية وليست علمية. والواقع أن كثيرًا من المنظمات الإرهابية الصهيونية الجديدة قد جعلت إعادة بناء الهيكل، وهدم الآثار الإسلامية الموجودة فى هذا الموقع، من أهم أهدافها.

لا تشير إلا إلى هيكل القدس، وقد احتفظ الأرثوذكس بالأدعية الخاصة بالعودة، وتبعهم المحافظون. وتظل العودة، بالنسبة إلى الأرثوذكس، مسألة مرتبطة بعودة الماشيَّح. أما بالنسبة إلى المحافظين، فهى تشبه المجاز والتطلع الطوباوى المثالى.

أما الصهاينة، فينقسمون فى موقفهم من قضية إعادة بناء الهيكل إلى قسمين: صهاينة لادينيون وصهاينة دينيون. وفى الواقع، فإن الفريق الأول لا يكترث بالعبادة القربانية، ولا بإعادة بناء الهيكل. ولذا، فهم ينظرون إلى القضية من منظور عملى، ويرون أن محاولة الصهاينة المُتدينين إعادة بناء الهيكل هى مسألة هَوَس دينى يهدد المُستوطَن الصهيونى بالخطر دون عائد مادى ملموس. ومن ثم، نجد أن مسألة إعادة بناء الهيكل لا تتمتع بشعبية كبيرة داخل إسرائيل التى تتمتع بـ - أو تعانى من - واحد من أعلى مستويات العلمنة فى العالم. وقد أشار تيدى كوليك (عمدة القدس) إلى المهووسين الذين قاموا بوضع حجر أساس بناء الهيكل، وبيَّن أنهم يسيرون فى خط شبتاى تسفى؛ ذلك الماشيَّح الدجال الذى ألهب حماس معظم اليهود فى القرن السابع عشر، ووعدهم بالعودة إلى فلسطين، وعيَّن بعض أتباعه حكامًا للأرض، ثم انتهت الحركة بالفشل، الأمر الذى رجَّ اليهودية رجًا من أساسها وألقى بها فى أزمة لم تفق منها قط.

ويرى الصهاينة المتدينون (المتطرفون) المسألة من منظور مختلف، فمسألة إعادة بناء الهيكل مسألة ذات أهمية مركزية بالنسبة إليهم، ولذا فإنهم يركزون جُلَّ اهتمامهم على هذه العملية، والقضية بالنسبة إليهم مسألة عقائدية وليست علمية. والواقع أن كثيرًا من المنظمات الإرهابية الصهيونية الجديدة قد جعلت إعادة بناء الهيكل، وهدم الآثار الإسلامية الموجودة فى هذا الموقع، من أهم أهدافها.

وهناك منظمة يهودية تُسمَّى «أمناء جبل الهيكل»، يرأسها ضابط سابق هو جيرشون سالومون ويموّلها المليونير الأمريكى (المسيحى الأصولى) ترى رايزنهوفر، جعلت بناء الهيكل الثالث هدفها الأساسى. ويقود المتطرفون الصهاينة حملة لتأكيد أن المنطقة التى يُوجَد عليها الآن كلٌ من المسجد الأقصى ومسجد الصخرة هى المنطقة التى كانت يُوجَد عليها الهيكل، ومن ثم فلليهود حقوق مطلقة فيها. وقد أسّست مدرستان تلموديتان عاليتان بالقرب من حائط المبكى لتدريب مائتى طالب على شعائر العبادة القربانية، ليقوموا بها عند بناء الهيكل الثالث. وإحدى هذه المدارس، معهد الهيكل (بالعبرية: يشيفات هبّايت)، وظيفتها الأساسية محاولة التعجيل بإعادة بناء الهيكل. وقد بدأت هذه المدرسة فى إعداد أدوات العبادة القربانية، وانتهت من ثمان وثلاثين منها تم وضعها فى متحف، وهى فى سبيلها إلى إعداد الخمس والستين الباقية. وتُوجَد جماعات أخرى تدرس شجرات العائلات الخاصة بالكهنة حتى يمكن الإجابة عن سؤال نصه: مَن منهم المُؤهَل لتقديم القرابين؟ وقد عُقد عام ١٩٩٠ مؤتمر يضم اليهود الذين يعتقدون أنهم من نسل الكهنة. وهناك فى فندق الهيكل فى القدس مجسَّم مصغَّر للهيكل، وينوون أن يبنوا مجسمًا آخر أكبر حجمًا يتكلف مليون دولار يتم جمعها من يهود العالم دون سواهم.

وقد قامت جماعة أمناء جبل الهيكل بوضع حجر الأساس للهيكل الثالث فى احتفال تحت إشراف رئيس الجماعة المدعو جرشوم سالمون. وقد حضر الاحتفال، الذى جرى فى منتصف شهر أكتوبر عام ١٩٨٩، كاهن يرتدى ملابس كهنوتية خاصة مصنوعة من الكتان المغزول باليد من ستة خيوط مجدولة تم إعدادها فى معهد الهيكل. وقد استخدموا فى الاحتفال بعض الأوانى الشعائرية، وبوق الشوفار، وأدوات موسيقية مثل الأكورديون. أما حجر الأساس نفسه، فحجمه متر مكعب، وقد قام حفاران يهوديان من

سابق إلى أن اليهود الإصلاحية واليهود العلمانيين (وهم يشكلون الغالبية الساحقة ليهود العالم وإسرائيل) لا يكترثون بالهيكل - وكل العبادات القربانية وغير القربانية اليهودية ويجدونها بقايا غابر ميت لا يعنيهم البتة - بل إن بعضهم يجد أن متحف الهولوكوست فى واشنطن هو الهيكل الحقيقى.

إلى جانب ذلك توجد حقيقة تاريخية يحرص الصهاينة على إخفائها وهى أنه توجد هياكل كثيرة. فالعبرانيون القدامى كانوا يحجون إلى مكان يسمّى «شيلو» إلى أن تأسست المملكة العبرانية المتحدة وأصبحت القدس العاصمة، والهيكل هو مركز العبادة القربانية. ولكن المملكة المتحدة لم تدم أكثر من ثمانين عامًا، وعند انقسامها إلى مملكتين صغيرتين (٩٢٨ ق.م) فَقَدَ الهيكل كثيرًا من أهميته، إذ شيَّد ملوك المملكة الشمالية (يسرائيل إفرايم) مراكز مستقلة للعبادة. فبنى يربعام (أول ملوك المملكة الشمالية) معبدين أو هيكلين أحدهما فى دان بالشمال والآخر فى بيت إيل، وجعل فيهما عجولاً ذهبية، واتخذهما مزارًا ملكيًا مقدَّسًا له. وقد أحاط المعبدين بهالة من القدسية، وغيَّر موعد الأعياد، وطرد اللاويين الذين كانوا يشكلون البيروقراطية الدينية للمملكة العبرانية المتحدة. وقد فعل كل هذا حتى يقوِّض العبادة المركزية ويحول دون ذهاب مواطنى مملكته إلى هيكل القدس فى المملكة الجنوبية (يهودا). ورغم التحالفات التى كانت تُعقَد أحيانًا بين ملوك الشمال والجنوب، فإن الهيكل لم يستعد قَطّ مركزيته القديمة. وكثيرًا ما كان ملوك اليهود يضطرون إلى إدخال العبادات غير اليهودية تعبيرًا عن تحالفاتهم السياسية. فأنشأ سليمان مذابح لآلهة زوجاته الأجنبيات، الأمر الذى يتنافى مع مبدأ التوحيد. كما أن العبادات المختلفة كانت تعبيرًا عن التبعية السياسية، فقد أدخل منَسَّى العبادة الآشورية تعبيرًا عن خضوعه للآشوريين.

ومن أطرف الأمثلة على تعدُّد الهياكل ما يسمَّى بهيكل أونياس، وهو الهيكل الذى شيَّده الكاهن الأعظم اليهودى أونياس الرابع الذى خُلع من منصبه فى فلسطين ففرّ إلى مصر ومعه بعض الجنود اليهود، ولعلهم تحولوا إلى مرتزقة بعد وصولهم إلى مصر (وثمة رأى يذهب إلى أن الذى شيده هو، فى واقع الأمر أبوه أونياس الثالث). ويبدو أن الهيكل قد شُيِّد بإيعاز من البطالمة (حكام مصر) فى عصر بطليموس السادس (١٨١ - ١٤٥ ق.م)، لخلق مركز ليهود مصر يصبح مركزًا لولائهم ويبعدهم عن هيكل فلسطين التابع للسلوقيين. وقد مُنح أونياس، وجنوده، أرضًا ليستوطنوها ويعيشوا من ريعها عام ١٤٥ ق.م. وقد شُيِّد المعبد فى ليونتوبوليس (بالقرب من هليوبوليس). مكان معبد مصرى للإله باشت. وقد استند أونياس إلى نبوءة أشعياء (١٩/ ١٨ - ١٩) التى جاء فيها أنه سيُشيَّد مذبحٌ للإله فى وسط أرض مصر ليعطى هيكله شرعية دينية وقد أصبح أونياس كاهنة الأعظم.

وكان كثير من اليهود يعملون جنودًا مرتزقة ضمن حامية عسكرية تُرابط حول المعبد. وقد بُنِىَ الهيكل على هيئة قلعة يحيطها سور، ربما بسبب طابعه الاستيطانى القتالى. ورغم اختلافه، من الناحية المعمارية عن هيكل القدس، فإنه كان يحوى الأوانى الشعائرية نفسها، وكان يتدلى من السقف فانوس حل محل شمعدان المينوراه. وقد منح البطالمة لكهنة هذا الهيكل قطعة من الأرض ليعيشوا من ريعها.

ولم يكن هيكل أونياس معبدًا (سيناجوج) وإنما كان هيكلاً مركزيًا لإقامة شعائر العبادة القربانية، وكان الهدف هو إحلاله محل هيكل فلسطين، كما كان اليهود فى مصر يقدمون فيه القرابين ويحجون إليه. ورغم أن أقلية من يهود مصر اتخذت موقف المعارضة، فإن بعض فقهاء اليهود أبدوا اهتمامًا خاصًا به ودرسوا شعائره وهو ما يعنى اعترافًا ضمنيًا به، ولكن

الرأى الحاخامى الشائع هو رفضه لأنه كان يشكل منافسة للعبادة القربانية. وقد قام الرومان بإغلاق هذا المعبد عام ٧٣م إثر تَمرُّد قام به يهود مصر، أى إنه أغلق بعد مرور عامين على إغلاق هيكل فلسطين.

وهيكل أونياس لا يختلف كثيرًا فى تصميمه المعمارى عن المعبد/ القلعة فى أوكرانيا (حين كانت تابعة لبولندا فى القرن السابع عشر) فى المناطق الحدودية التى تفصل بين بولندا وبين روسيا. وكان أعضاء الجماعة اليهودية يقومون بالعبادة والدراسة فى مثل هذه المعابد، التى كانت مصممة بطريقة يمكن استخدامها كحصون وقلاع عسكرية فى آن واحد.

ونشأت الحاجة لمثل هذا الطراز من المعابد فى إطار الإقطاع الاستيطانى البولندى فى أوكرانيا. فقد وظّف النبلاء البولنديون (شلاختا) بعض أعضاء الجماعة اليهودية فى عملية اعتصار أكبر قدر ممكن من الأرباح من الفلاحين الأوكرانيين. فأصبحت الجماعة اليهودية جماعة وظيفية من الوكلاء الماليين (أرنداتور) يعيشون فى مدن خاصة بهم (شتتلات) منعزلين لغويًا ودينيًا واجتماعيًا وثقافيًا عن جماهير الفلاحين. وكانت الجماعة اليهودية محل سخط الجماهير وغضبها (كما هو الحال مع أعضاء الجماعات الوظيفية، خصوصاً العميلة) ولذا كانت القوات العسكرية البولندية تقوم بحمايتها من الجماهير ومن الانتفاضات الشعبية المحتملة. ومع هذا فكان أعضاء الجماعة اليهودية يتدربون على السلاح، وكان عليهم الاحتفاظ بأسلحة بعدد الذكور القادرين على حملها، وبكمية معيَّنة من البارود (حسبما كانت تنص العقود المبرمة بين النبلاء البولنديين ووكلائهم اليهود).

وكانت هذه المعابد/ القلاع مصممة بطريقة تجعل بالإمكان استخدامها كمكان للعبادة والدراسة وكحصون وقلاع عسكرية. فكانت تُزوَّد بحوائط سميكة للغاية، كما أن المتاريس (حاجز السقف أو الشرفة) مزودة بكوات

لتخرج منها المدافع والبنادق، أثناء الاشتباك مع الجماهير. ومن أشهر المعباد/ القلاع معبد لتسك Lutsk الذى بُنى عام ١٦٢٦ لخدمة الأغراض العسكرية بالدرجة الأولى. وصدر قرار ملكى ببنائه كان ينص على ضرورة أن يلتزم اليهود بتزويد معبدهم هذا بكوات من الجهات الأربع وبالسلاح الكافى (على نفقتهم)، كما يجب أن يكون المبعد/ القلعة مزودًا بعدد من الرجال يكفى لصد الهجمات عليه. وصدر أمر لمعبد ريسيسوف بأن يزود نفسه بالبنادق والرصاص والبارود. وكانت المعابد/ القلاع تزود عادةً ببرج مراقبة ضخم (كان يُستخدَم فى زمن السلم كسجن يُودَع فيه المجرمون من أعضاء الجماعة اليهودية).

وقد تكرس هذا النمط فى الدولة الصهيونية، فكثير من اليهود (على حد قول أحد الحاخامات المعادين للصهيونية) ينظرون إلى إسرائيل باعتبارها تحقيقًا لنبوءة إعادة بناء الهيكل، فهى هيكلهم الثالث، ورئيس وزرائها هو الكاهن الأعظم. وإن صدق هذا الحديث، فإن إسرائيل هى الهيكل/ القلعة، مكان فى حالة حرب دائمة ضد السكان الأصليين، وهى حالة حرب دائمة، مادام الاحتلال.

□□□

الهيكل: بركان متفجر

ذكرنا أهم التنظيمات اليهودية/ الصهيونية المعنية بقضية الهيكل وسنتناول الآن الخلفية السياسية والثقافية لتحرك هذه التنظيمات من الهامش الإسرائيلى/ الصهيونى إلى المركز.

ويُلاحظ أن الفترة الأخيرة شهدت توسعًا كبيرًا فى نشاط هذه المنظمات، كما شهدت تنسيقًا عميقًا فيما بينها. وهناك سببان رئيسيان لهذا التطور، أحدهما خارجى والآخر داخلى. ويتمثل السبب الخارجى فى التخوف من أية ترتيبات ترسِّخ الوضع الراهن، الذى يخضع فيه جبل الهيكل لسيطرة

الفلسطينيين. وأدى هذا التخوف إلى ممارسة ضغوط على الحاخامات وعلى دار الحاخامية الرئيسية فى إسرائيل من أجل إلغاء التشريع الدينى اليهودى الذى يحظر على اليهود دخول منطقة جبل الهيكل (لما كان موقع هيكل سليمان غير معروف على وجه الدقة، فإن هذا التشريع يُحرِّم على اليهود المتدينين دخول المنطقة خشية أن تطأ أقدامهم «قدس الأقداس»، وهو ما يُعتبر خطيئة).

وفى سياق التمهيد للاحتفال «بالعيد السابع للهيكل» فى فبراير ١٩٩٧، أعلن حاخامات منظمة «ييشا Yesha» (التى تمثل المستوطنين اليهود فى الضفة الغربية وقطاع غزة) فتوى ثورية تجيز لليهود دخول منطقة جبل الهيكل، وهو ما كان - حتى ذلك الحين - أمرًا محظورًا لدى جميع التيارات الرئيسية اليهودية، وجاءت الفتوى فى رسالة وقَّع عليها الحاخامات (ومن بينهم دانيال شايلو، أحد رؤساء مجلس حاخامات «ييشا»). وأهابت الرسالة «بكل حاخام يعتقد أنه من الجائز دخول جبل الهيكل أن يذهب بنفسه ويرشد أفراد طائفته إلى كيفية دخول المنطقة وفقًا للقيود الشرعية اليهودية».

□□□

أما السبب الداخلى فيتعلق بتصاعد أهمية مفهوم الهيكل فى الأوساط اليهودية. ففى غضون السنوات الأخيرة، أصبحت هذه القضية متغلغلة فى جميع القطاعات الدينية، ومن ثم تقلَّصت أهمية الحائط الغربى، بينما تركَّزت الأنشطة على الهيكل. وبعد أن كان يُنظر إلى إعادة بناء الهيكل باعتباره أمرًا تقرره الإرادة الإلهية وحدها برز مؤخرًا موقف يدعو إلى ضرورة القيام بعمل ما للتمهيد لبناء الهيكل. وهذا مثل جيد على ما نسميه «صهينة اليهودية»، أى إعادة صياغة المفاهيم الدينية اليهودية لتتفق مع الرؤية الصهيونية. فعلى سبيل المثال تُحرِّم الأرثوذكسية (أى اليهودية

التقليدية) عودة اليهود إلى فلسطين، نعم تُحرِّمها، وتعتبرها عملاً من أعمال الكُفر والهرطقة وارتكاب خطيئة الداحيكات هاكتس، أى التعجيل بالنهاية. فاليهودية الحاخامية كانت تطلب من اليهود أن ينتظروا فى صبر وأناة حتى يأذن الإله بالعودة، ويرسل بالمسيح المخلِّص اليهودى ليقود شعبه إلى أرض الميعاد. وكانت متتالية الخلاص تأخذ الشكل التالى:

منفى - انتظار - مجىء المسيح المخلِّص - عودة اليهود

جاء الصهاينة وغيَّروا هذه المتتالية وأصبحت على النحو التالى:

منفى - انتظار - عودة للإعداد لمجىء المسيح المخلِّص - مجىء المسيح المخلِّص - عودة اليهود

ويتبدى تزايد الوعى بقضية الهيكل فى عدد المؤتمرات التى عقدتها جماعات «أحباء الهيكل» (شوشارای هامكداش Shocharey HaMikdash). وقد عُقد أحدث هذه المؤتمرات فى عام ١٩٩٩، وموَّلته وزارة الشئون الدينية. وكانت الوزارة السابقة تضم ستة وزراء على الأقل ممن يطالبون بضرورة السماح لليهود بتأدية الصلوات فى منطقة جبل الهيكل. كما طالب قاضى المحكمة العليا، مناحم إيلون، بأن تعيد الحكومة الإسرائيلية النظر فى سياستها بخصوص جبل الهيكل. أما عمدة القدس، إيهود أولمرت، فقد زج بنفسه مؤخرًا فى غمار المعركة بشأن هذه المنطقة.

وحتى عهد قريب، كان عدد «أحباء الهيكل» - الذين يرون فى تدمير المساجد الكائنة فى تلك المنطقة غاية ضرورية ينبغى أن ينذر البشر أنفسهم لتحقيقها - لا يتجاوز عشرات من النشطاء فى عدد من الحركات التى ليس لها نفوذ يُذكر. إلا أن السنوات الخمس الأخيرة شهدت تزايدًا كبيرًا فى عدد نشطاء هذه الجماعات ومؤيديها، وكذلك تنامى التعاطف الجماهيرى مع فكرة تدمير المساجد.

ففى مقابلة مع صحفية جيروساليم بوست الأسبوعية (١ نوفمبر ١٩٩٦) صرَّح نوام ليفنات، من زعماء حركة «حاى فى قايام Hai V'Kayam» (أى حى وقائم)، بأنه يتطلع إلى وضع يمكن فيه نسف القبة الذهبية على جبل الهيكل والإطاحة بها إلى عنان السماء، واستطرد موضحًا فكرته بقوله: «إذا توجَّه ثلاثة أشخاص لنسف القبة الذهبية سوف يكونون مجرد مجانين، وإذا فعلها ثلاثون شخصًا فسوف يكون هذا تنظيمًا سريًا، وإذا كانوا ثلاثمائة فهم يشكلون حركة، أما إذا كانوا ثلاثة آلاف فهذا يُعدُّ ثورة. إن الأمر كله يعتمد على عدد من يشاركون فى هذا العمل. والأمل الذى أصبو إليه هو حشد قوة جماهيرية لتنفيذه».

وفى ١٥ سبتمبر ١٩٩٨، أثناء فترة حكم بنيامين نتنياهو، عُقد «المؤتمر السنوى لأحباء الهيكل» فى مركز بنيانای ها أوما الدولى للمؤتمرات بالقدس. وشارك فى المؤتمر آلاف الأشخاص من الدينيين القوميين، وغلاة اليهود الأرثوذكس واليهود العلمانيين، ودعا خلاله الحاخامات إلى ضرورة اتخاذ ترتيبات جوهرية لبناء الهيكل فى نفس موقع المساجد. وكانت الدعوات للمؤتمر موجهة من رئيس «لجنة الدستور والقانون والعدل» فى الكنيست وعضوة الكنيست حنان بورات (الحزب الدينى القومى)، وقد طُبعت على أوراق الكنيست الرسمية. وأعرب رئيس لجنة الكنيست هذه عن ترحيبه بالمشاركين، كما حيَّا المؤتمر عضو الكنيست موشى بيليد (حزب تسوميت)، وكان يشغل آنذاك منصب نائب وزير التعليم، وهكذا، بارك الكنيست وباركت الحكومة الإسرائيلية، بشكل رمزى واضح خطط «أحباء الهيكل».

وفيما يلى عرض للتسلسل الزمنى لنمو جماعات «أحباء الهيكل»:

التاريخ	الحدث	عدد المشاركين
أبريل ١٩٩٠	أول مؤتمر علنى لمنظمات جبل الهيكل (العيد الأول للهيكل)	٦٠
فبراير ١٩٩٧	المؤتمر السابع لمنظمات جبل الهيكل	١٠٠٠
سبتمبر ١٩٩٨	المؤتمر الثامن لمنظمات جبل الهيكل	٢٠٠٠
ديسمبر ١٩٩٩	مظاهرة من أجل جبل الهيكل، نظمتها حركة «زو أوتزينو Zo Artzenu»	٤٠٠٠
أغسطس ٢٠٠٠	مظاهرة من أجل جبل الهيكل أمام بوابة الأسود	٥٠٠٠

المنظمات التى تسعى لإعادة بناء الهيكل

يبدو أنه يوجد عدة منظمات ضالعة بشكل نشط فى تعزيز فكرة بناء الهيكل الثالث على مستوى الممارسات العلمية. وتنشط كل من المنظمات التالية فى العمل فى مجالها الخاص، ولكنها تتفق مع المبادئ العامة لـ «أحباء الهيكل»، التى تقوم على نظرية المراحل، بدءًا بدراسة واستعادة الممارسات والشعائر المتعلقة بالهيكل وانتهاءً ببناء الهيكل فى نفس موقع المساجد فى منطقة جبل الهيكل. أما الدائرة الثانية فتضم طائفة واسعة من جماعات التأييد من بينها هيئات دينية يهودية مثل المحكمة الحاخامية لجبل الهيكل، ومنظمات لا تهدف للربح مقرها فى القدس مثل «عتيريت كوهانيم Aterett Cohanim»، التى تركز على شراء ممتلكات بالقرب من حوائط جبل الهيكل، ومنظمات متطرفة مثل «شوفو نانيم Shuvu Banim»، وجماعات «يشا بالقرب من حوائط جبل الهيكل، ومنظمات متطرفة مثل «شوفو بانيم Shuvu Banim»،

وجماعات «ييشا Yesha» (وهى اختصار كلمات يهودا والسامرة وغزة)، و «زو أوتزينو Zo Artzenu»، بالإضافة إلى بعض الحاخامات والشخصيات العامة.

□□□

«أحباء الهيكل» (شوشارای هاميقدش Shocharey HaMikdash)

هى الجماعة التى تمثّل الإطار العام لمعظم المنظمات المعنية بجبل الهيكل ويرأسها العلامة هليل وايز، والفكرة الأساسية من تشكيلها هى «جمع الأصابع المتفرقة فى قبضة واحدة»، على حد تعبير يهودا عتسيون. ومن أبرز العناصر القيادية فى الحركة الحاخام باروخ كاهانا، ابن الحاخام مائير كاهانا مؤسّس حركة «كاخ»، الذى اغتيل مؤخرًا.

حركة بناء الهيكل

يرأسها الحاخام ديفيد إلباوم، وتتولى الجوانب العملية من استعادة الشعائر وغيرها من الممارسات المتعلقة بالهيكل.

منظمة شومرای هامقداش Shomrey HaMikdash (حراس الهيكل)

وهى منظمة أم تضم خمس منظمات تركّز نشاطها على الحرم المقدّس وهى:

(أ) ماخون هامقداش Machon HaMikdash (معهد الهيكل)

أسسها فى عام ١٩٨٣ كل من الحاخام يسرائيل أرييل، وموشى نيمان، ومايكل بن حورين فى الحى اليهودى فى القدس. والجدير بالذكر أن الحاخام أرييل كان الثانى فى قائمة مرشحى حركة «كاخ» لعضوية الكنيست فى منتصف السبعينات. وقد وُجّهت فى الثمانينات إلى الحاخام أرييل تهمة محاولة التسلل إلى منطقة جبل الهيكل بغرض «إذكاء العداء

والكراهية بين اليهود والعرب». كما كان موشى نيمان، وهو من سكان مستوطنة ميتسيف بيرشو، ومايكل حورين، من سكان مستوطنة نوف، فى مرتفعات الجولان، عضوين سابقين فى حركة «كاخ». ويرى الحاخام أرييل أن بناء الهيكل لن يتم عن طريق المعجزات بل من خلال مبادرات عملية فعالة. وتحصل هذه المنظمة على دعم مالى من الدولة ومساعدات من شابات فى هيئة «شيروت لئومى Sherut Leumi» (هيئة قومية للنساء). كما يؤكد بعض نشطاء المنظمة أنها تتلقى أيضًا مساهمات من هيئات مسيحية أصولية.

(ب) هاتنوعاه لكينون هامقداش (الحركة من أجل إنشاء الهيكل)

ويرأسها الحاخام يوسف البويم، وكانت قد أصدرت لسنوات صحيفة باسم «فلنبن الهيكل» وتُصدر الآن مجلة باسم «بين القاعة والمذبح».

(جـ) إل هار هامور El Har amor (إلى جبل حامور)

جماعة أكاديمية تهتم بالعمل النظرى، وأعضاؤها الأساسيون من مستوطنة يتزهار، مثل الحاخام يتسحاق شابيرا، والحاخام دودى دوداكيفيتش، وشاى داوييم، والحاخام يوسى بلاى، وتعمل هذه الحركة على تنظيم حملات متكررة لتوجه اليهود إلى الحرم القدسى، كما تعقد دورات لطلاب المدارس الدينية لهذا الغرض.

(د) المدرسة الدينية «الفكرة اليهودية»

وكان قد أسسها عدد من الأعضاء السابقين فى حركة «كاخ».

(هـ) زو ارتزينو Zo Artzenu (هذه أرضنا)

ويتزعم هذه الحركة موشى فيجلين. وهى من أبرز الحركات اليمينية المتطرفة. وزعيمها من مستوطنة «كرناى شومرون» وكانت قد تأسَّست بعد اتفاقيات أوسلو وتضم عدة آلاف من النشطين فى المستوطنات.

حاى فى قايام (حى وقائم) أو «ما زال على قيد الحياة» Hai v'Kayam

أسسها فى مطلع التسعينات «يهودا عتسيون Yehuda Etzion» من مستوطنة عوفرا، وسبق إدانته ضمن الجماعة اليهودية السرية التى خططت لنسف المسجد الأقصى عام ١٩٨٤. ومجموعة من سكان مستوطنة بات عين. وتصف الحركة نفسها بأنها حركة مشيحانية «من أجل بعث مملكة إسرائيل»، كما يصف أعضاء الحركة أنفسهم بأنهم ينتمون إلى «ثقافة الهيكل الثالث». وتعمل المنظمة من أجل تمكين اليهود من الصلاة بحرية فى الحرم القدسى، وتقوم بالعديد من المحاولات لاقتحام الحرم بقوة. ومن بين الأعضاء الآخرين البارزين فى الحركة يوآف ميرنر، الذى أسس فى منتصف السبعينات منظمة «جال Gal» السرية، التى يتمثل هدفها الرئيسى فى تحويل إسرائيل إلى دولة دينية تسير حسب الشرائع اليهودية ونسف المساجد فى منطقة جبل الهيكل، وقد اتُهم وسُجن ثلاث مرات بتهمة التخطيط لنسف المساجد، وموتى كاربل، الرئيس الأسبق لمجلس «ييشا» الذى يمثل جميع المستوطنات اليهودية فى الضفة الغربية وقطاع غزة، ونوام ليفنات (شقيق عضو الكنيست ليمور ليفنات، الذى شغل من قبل منصب وزير الاتصالات، وهو من العناصر القيادية فى «الليكود» ومن أنصار بنيامين نتنياهو)، ونوام طالب فى «يشيفا قبر يوسف» (اليشيفا هى حلقة أو مدرسة تلمودية)، وهو قائل العبارة المذكورة آنفًا عن نسف قبة الصخرة.

نساء الهيكل

تترأس هذه الجماعة ميشيل أفيزير، وهى ربة بيت من سكان كريات شوئيل بالقرب من حيفا. وتعمل المنظمة على جمع الحُلى الذهبية والأحجار الكريمة استعدادًا لبناء الهيكل. وتُحفظ هذه الحلى فى «مؤسسة الهيكل».

لاها تحيلاه Lachatchila (إلى البدء)

يرأسها لحاخام موشى فيجلين، الذى يرأس أيضًا حركة زو أرتزينوذات النزعة القومية، وهو نسب بنيامين نتنياهو. وتنصب أنشطة المنظمة على بناء الهيكل بالجهود البشرية التى لا تعتمد على قدوم الماشيح.

ميشماروت هاكوهانيم Mishmarot HaKohanim (أحكار الكهنة)

تتألف هذه المنظمة من أفراد عائلة كوهين، التى تُعتبر من نسل قبيلة لاوى، وتتمثل مهمتها فى المساعدة فى تأدية الشعائر المقدسة فى الهيكل.

وفى سياق اتخاذ الترتيبات الفعلية لبناء الهيكل، تُقسَّم الأرض إلى ميشماورت (أحكار، أى مناطق مخصصة لغرض ما)، مثل ميشميريت يهودا، وميشميريت منشا وغيرها. وهناك شخص مسئول عن كل حِكر، ويتولى خدمة الكهنة فى تلك المنطقة. ويتجمع الكهنة معًا ويحرر كل منهم استمارة تتضمن البيانات الشخصية ووصفًا للعمل الذى يُعد للقيام به «عندما يحين الوقت ويصدر الأمر»، أى عندما يحين وقت تأدية الشعائر المقدسة. ويجب أن تتوفر لدى أعضاء «ميشماروت هاكوهانيم» مهارات وخبرات فى مجالات البناء والتنظيف والذبح وتقديم الذبائح ضمن الشعائر المتعلقة بالقرابين، وعزف الموسيقى وما إلى ذلك.

وللتدريب على شعائر الذبح، طلب بعض سكان مستوطنة «ميتسبح بيركو» من يهودى أمريكى يمتلك مصنعًا للبلاستيك فى تكساس أن ينتج المصنع نماذج من البلاستيك على هيئة حيوانات مثل الحملان والأبقار والطيور وأن يتبرع بها لاستخدامها فى التدريب على الذبح وتقديم القرابين. وهناك برنامج آخر وُضع فى المستوطنة ويتمثل فى بناء نموذج كامل للهيكل داخل المستوطنة على أرض يبلغ كل من طولها وعرضها ١٨٧

مترًا. ولكن المشروع جُمِّد فى الوقت الراهن، نظرًا لمشاكل تتعلق بالتصميم والتمويل والشرائع الدينية.

وتوجد فى المستوطنة «كوليل Kolel» (وهى مدرسة تلمودية للرجال المتزوجين) متخصصة فى الدراسات المتعلقة بالهيكل. وفى الساعة السادسة من صباح كل يوم يتجمع عدد من الرجال تحت إشراف حاخام المستوطنة يهودا كروتزر لدراسة القوانين الشرعية المتعلقة بالهيكل وتقديم القرابين.

أما موشى نيمان، وهو من سكان مستوطنة ميتسبح بيركو، فهو مسئول عن الجوانب العملية فى مشروع بناء نموذج الهيكل على تلال المستوطنة، وكذلك عن تنمية الموارد المالية وحشد المؤيدين. وللحديث بقية.

نيئماناى هار هابيت Ne'emaney Har HaBayit (أمناء جبل الهيكل)

أسسها جيرشون سولومون، وتعمل بمعزل عن المنظمة الرئيسية التى تمثل إطارًا عامًا لمثل تلك الجماعات. ويحصل سولومون على أموال من تجمُّعات مسيحية أصولية فى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث ترى أن حرب يأجوج ومأجوج وبناء الهيكل يمثلان مرحلة لاهوتية ضرورية تسبق عودة المسيح. وقد ادَّعى سولومون أن ما يقرب من عشرة آلاف مسيحى من مختلف أنحاء العالم، وبينهم مسيحيون من بلدان إسلامية مثل مصر وإندونيسيا وبلدان أخرى فى إفريقيا، قد انضموا مؤخرًا إلى حركته. كما أكد أن عدد الأعضاء المسجلين فى الحركة داخل إسرائيل يربو على عشرة آلاف.

□□□

المحكمة الحاخامية لجبل الهيكل

تضم هذه الهيئة حاخامات من «أحباء الهيكل» من أمثال دوف ليور، ونحمان كاهانا، ويسرائيل أرييل، ويختلف موقفها الشرعى بخصوص

دخول اليهود إلى منطقة جبل الهيكل عن مواقف معظم الحاخامات من مختلف التيارات اليهودية. وفى أغسطس ٢٠٠٠ أصدرت المحكمة فتوى شرعية تجيز لليهود دخول جبل الهيكل فى مناطق معينة لا تشكل جزءًا من حرم الهيكل، الذى لا يمثل فى نظرهم أكثر من خمسة بالمائة من مساحة المنطقة.

□□□

منتدى استيطان القدس

يمثل هذا المنتدى إطارًا عامًا للجماعات التى تسعى إلى استعادة المنازل فى القدس. والهدف من توحيد هذه الجماعات هو تركيز الأنشطة فى مختلف الجماعات والتنسيق فى الأمور ذات الاهتمام المشترك، ومن أبرز هذه الجماعات:

«عتيريت كوهانيم Ateret Cohanim»، أسسها عام ١٩٧٨ بعض أعضاء «يشيفات هاجولان» (المدارس التلمودية فى الجولان) لتكون بمثابة مدرسة تلمودية لدراسة القوانين المتعلقة بالكهنة والقرابين. وتلتقى الجماعة مرتين سنويًا من ممثلى وزارة الشئون الدينية وغيرها من الهيئات لدراسة القوانين الخاصة بالقرابين المقدسة والهيكل. ويؤكد حاخام الجماعة، شلومو أفنير، على دراسة قوانين الهيكل باعتبار تلك نوعًا من الإعداد الروحى والفكرى لبناء الهيكل.

* «بيت أوروت Beit Orot»، أسسها بنى إيلون، الذى لايزال العنصر القيادى فى الجماعة حتى بعد انتخابه فى الكنيست، وحاخام الجماعة هو إلحانات بن نون.

* «عموتان إلاد Amutat Elad»، تمارس نشاطها فى إر ديفيد (خارج حوائط المدينة القديمة)، ويرأسها ديفيد بارى. ويشارك الحاخام تاو فى

أنشطتها، ولكن الجماعة مستقلة، وتتخذ قراراتها بنفسها دون التقيد بأحكام الحاخامات.

* «عتيريت ليوشونا Ateret Leyoshna»، جماعة غير نشطة، والزعيم الروحى لها هو الحاخام أفيجدور نيفاتسال، حاخام الحى اليهودى فى المدينة القديمة.

□□□

شوفو بانيم Shuvn Banim

تتخذ هذه الجمعية من الحى الإسلامى فى القدس مقرًا لها. وهى جماعة متطرفة خطيرة تتألف من بعض اليهود التائبين، ولبعضهم سوابق جنائية والبعض الآخر من الجنود السابقين فى الجيش الذى تتوفر لديهم قدرات عسكرية عملية، ومعظم طلاب هذه المدرسة التلمودية ينحدرون من أوساط مُعدمة تتزايد فيها معدلات البطالة، ويتسمون بعقلية فوضوية لا تخشى الحكومة أو القانون.

وتجمع بين زعماء المدرسة وطلابها نزعة مشيحانية متطرفة يغذيها زعيم المدرسة، الحاخام إليعازر بيرلاند، الذى يتسم بشخصيته القيادية وبشطط أفكاره. وتُعتبر هذه الجماعة من أخطر التنظيمات التى يمكن أن تقوم بأنشطة عنيفة فى جبل الهيكل، وذلك بالنظر إلى أنها تجمع ما بين الأصولية الدينية والتطرف القومى والخلفية الإجرامية والنزعة المشيحانية، فضلاً عن موقعها الجغرافى من جبل الهيكل (عشرة أمتار).

□□□

حركة فاشيم بياروق (نساء بالزى الأخضر)

وتتزعمها نادية مطر، وهى مستوطنة «إفرات» فى «جوش عتسيون»، وكانت قد تأسّست كرد على حركة «ناشيم بشاحور» (نساء بالزى الأسود)

اليسارية. وتضم حركة «ناشيم بياروق» فى عضويتها عشرات من السيدات اليمينيات، وهى تعارض أية تسوية سياسية مع الفلسطينيين.

□□□

حركة كاخ

وهي أبرز وأخطر حركات اليمين المتطرفة. وسبق أن أسّسها مائير كاهانا الذى قُتل فى نيويورك عام ١٩٩٣، وهى تُعتبر محظورة وخارجة عن القانون. ويتزعمها حاليًا باروخ مارزيل من مستوطنى الخليل وتم اعتقاله عدة مرات. ومعظم أعضائها من: كريات أربع والخليل والقدس وبناى براك وصفد وطبرية. وقد انضم إليها مؤخرًا ٨٠٠ عضو جديد. وكان أعضاؤها السابقون يُقدَّر عددهم بحوالى ٥٠٠٠ شخص من بينهم ٢٥٠ جنديًا يخدمون فى الوحدات المقاتلة. ويشارك فى زعامة الحركة ١٨ عضوًا يمثلون الأمانة العامة. وهذه الحركة لا تعمل كجبهة سياسية فقط بل كجبهة اجتماعية أيضًا وتجذب إليها بعض القطاعات المظلومة فى المجتمع الإسرائيلى من الروس وأعضاء شاس والحراديم، ويتم تمويلها من أموال التبرعات وتُقدَّر ميزانيتها بمئات الآلاف من الدولارات سنويًا يأتى نصفها من الإسرائيليين والنصف الآخر من حملات التبرع بأمريكا.

حركة كاهانا حاى

وكان يتزعمها بنيامين كاهانا الذى قُتل مؤخرًا، وهو نجل الحاخام مائير كاهانا مؤسّس حركة «كاخ»، وهى تتبنى إستراتيجية مشابهة لحركة «كاخ» وكلاهما محظورتان وفقًا للقانون الإسرائيلى ومعظم أعضائها من اليهود ذوى الأصل الأمريكى ويقيمون فى مستوطنة «كاخ» فى شمال الضفة الغربية، وتم تدريبهم على استخدام السلاح فى الخارج.